مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 21 العدد: 48 السّنة: الثّلاثيّ الرّابع 2019 ص: 363 - 382

عتبة الألوان الوطنية في غلاف رواية "الاحتراق" للروائي "سعيد هاشمي"

The paratext of national colors on the cover of the novel " al ihtirak" by Said Hachimi.

أ. بوفنارة مفيدة*

تاريخ الإرسال : 2018- 04- 15 تاريخ القبول:2019- 09- 29

الملخص: يندرج هذا البحث ضمن مقاربة عتبة الغلاف الروائي الجزائري المعاصر، وقد اخترنا لذلك نصا سرديا للروائي "سعيد هاشمي" في روايته "الاحتراق" ، حيث مثلت ألوان صورة الغلاف لوحة ثورية معبرة عن معاناة الشعب الجزائري، إذ أسهمت في إشعال فكرة العودة الذهنية إلى أيام الثورة التحريرية مهتمين بمدى مطابقة هذه العتبة النصية لنصّها السردي، كما بيّن ذلك الناقد الفرنسي (جيرار جينيت GERARD Gennete) في (كتابه عتبات seuils).

الكلمات المفتاحية: عتبة الغلاف - الألوان الوطنية – الرواية الجزائرية المعاصرة – الدلالة.

Abstract: This paper approaches the cover book as a paratexte of contemporary Algerian novel. We have chosen a narrative text titled " Al Ihtirak" written by the novelist Said Hashimi. The colors of the cover image represent a revolutionary painting of the suffering of Algerian people. They contributed to reborn the idea of revolution days. We are interested to compare between the textual paratexte

* جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، البريد الالكتروني: ms280580@gmail.com, ALGÉRIE

and the narrative text, with a theorical approach of French critic Gerard Gennete in his book “Seuils”.

Key words: Paratexte of the cover– national colors–contemporary Algerian novel–significance

من أهم العتبات أو النصوص الموازية عتبة الغلاف، لكنها تعد عتبة صماء عاجزة عن التعبير والنطق بما تحويه من خطوط، و أشكال، و رسومات، فيأتي دور اللّون كي يزيل عنها هذا العجز، وينطّق الصورة التشكيلية.

إن الإنسان بطبعه ميّال إلى اللّون منذ صغر سنّه " فقد ثبت قيل أنّ اللون يخطف بصر الطفل، وهو في أيامه الأولى وأنه ينادي عينه قبل أن ينادي لسانه أو عقله وأن مرحلة التسمية عند الطفل لا تبدأ إلا مع بداية الكلام "[1].وقد اكتفى الإنسان باللونين الأبيض والأسود منذ سنوات طويلة كونهما لا يلبيان رغبته في التعبير عن الجمالية التشكيلية التي يرغبها "فإن الإنسان لم يقنع بهذه الحياة الملونة الطبيعية، وأضاف إليها من فنه، وعلمه آلافا مؤلفة من الألوان والتركيبات اللونية وأدخل اللون الصناعي في كل شيء حوله حتى كادت الحياة الملونة (أبيض وأسود) تختفي من حياتنا، وإذا صادفتنا نملها وننفر منها، وبعد تسخير اللّون لغايات منفعية، ولتسيير شؤون الحياة وتيسيرها لم يعد من الممكن الآن حتى لو نحّينا عامل الجمال جانبا لن نتصور عالمنا الحديث بدون ألوان"[2].

ولقد عرف العرب اللون منذ القديم وأولوه الأهمية وأعطوه القيمة التي تتناسب مع جماليته، فقد وظف عديد من الأدباء اللون في قصائدهم الجاهلية وصولا إلى يومنا هذا فاللون أساسية من أساسيات الحياة التي لا يمكن أن نختزلها أو نهمشها، وهذا ما أدركه عديد من المؤلفين العرب فأدرجوا له فصولا في كتبهم أولته الأهمية، وأعطته القيمة الفنية "ونذكر منها فقه اللغة للثعالبي والمخصّص لابن سيده، وقد حوى كتاب الثعالبي فصلين أحدهما عن

الألوان (70- 77) بحث فيه المفردات المستعملة في لون البياض، والسواد والحمرة في الإنسان والحيوان"[3].

إن عتبة اللون أضفت لمسة سحرية على أغلفة النصوص الروائية، فكان اللّون المعجزة التي تكشف عن هوية العالم السردي، وتعرف به، فيصبح للنص إبداعان أو أكثر، إبداع فكري جسدته اللغة وإبداع تشكيلي زينّه اللّون السّحري الغني بتدرجات طبيعية حبانا الله إياها " فالله هو مبدع هذه الألوان والأشكال الرائعة وهو خالق كل شيء على نحو لم يسبق له"[4].

ولطالما عبر اللون عن الأحاسيس والحالة النفسية، وهذا راجع لطبيعة اللّون الموظّف على صفحة الغلاف مثلا لأن لكل لون دلالته، وهوما استطاع الفنّانون التشكيليون تعلّمه واكتسابه ليمثلوا بألوانهم المعاني والدّلالات المراد تجسيدها على اللّوحة التشكيلية، وفي ذلك عبر الرّسام الإيطالي المعروف "ليوناردو دافنشي" "أول الألوان البسيطة الأبيض..، والأصفر التربة، والأخضر الماء والأزرق الفضاء والأحمر النّار"[5].

وقد فرضت الألوان كيانها على أغلفة الروايات الجزائرية إذ "لا يمكن أن نتخيّل لوحة فنية مجردة من الألوان"[6]، فلونت أشكالا مختلفة من أشجار وجماد وحيوانات وبواخر وأجسام بشرية نسوية –تحديدا- ومنازل وذهب وفضّة..، إذ لا يمكن أن نتخيّل هذا العالم أو "نتصور هذا الكون بأشجاره وحدائقه الغناء وأنهاره وجباله بدون ألوان"[7].

نجد بعض أغلفة الروايات الجزائرية قد استغنت عن توظيف الألوان الأساسية وهي: (الأحمر والأصفر والأزرق)، أو حتى من ألوان الطيف (البنفسجي، النيلي الأزرق، الأخضر، الأصفر، البرتقالي، الأحمر)، ولجأت إلى توظيف ألوان العتمة وهي اللون الأبيض والأسود والظلال الرّمادية كي يبيّن منذ البدء عن سوداوية الفكرة المعبّر عنها، ويسقط اختيار هذه اللّوحة على

الرواية المناسبة لها من حيث الفكرة، فاللون طبيعة تأثيرية صارخة تستطيع تجسيد ما تريده، وإن كان بالألوان السوداوية لأن "الأسود والأبيض والرمادي هي أيضا ألوان من الصعب تخيل اللالون"[8].

والأكيد أن الحالة النفسية لهذا السواد يكوّن حالة حزينة مستجيبة للّون الذي أضفى انطباعا شعوريا طغى على النفس الإنسانية وسيطر عليها فتبقى "البلاغة اللغوية الإنسانية عاجزة أمام تصوير هذا الإحساس الغريب"[9].

فالغلاف فضاء ضيق المساحة مقارنة بالنص السردي إلا أن العنوان الموضوع على غلاف الرواية يحتل المكانة الكبيرة بحيث يجعل منه نصا موازيا للنص الأصلي بدون منازع، ولكيفية إسقاط العنوان على أغلفة الروايات طرق عديدة فقد تأتي بشكل أفقي، أو عمودي أو مائل...، لكن الأكيد أن كتابة العنوان الغليظة لن تخلو من لون يبرز هذا العنوان ويظهره لأن "العنوان هو صاحب الدور الأول في اكساب القارئ معرفة بالنص، والقيام بمهمة تنظيم هذه المعرفة وتأويلها فالسواد يلف الشاعر نظرا لإحساسه وعالمه الذي يراه، ولذلك منح الزمان والمكان اللون الأسود ليكون دالا على شعوره وواقعه، وهو واقع تحت تأثير الحالة النفسية المليئة بالكئابة والحزن"[10].

للألوان لمسة شعرية تحمل بين طياتها إيحاءات توحي بمضمون وأحداث الرواية أو هي تعبير صامت عن وقائع وأحداث المتن السردي، وتوظيف هذه الألوان على غلاف الرواية لم يكن توظيفا اعتباطيا بل حمل العديد من الرموز الجمالية، والنفسية والرمزية المتباينة الإيحاء حسب أذواق المتلقي وطبائعه و"سرعة التأثر وبطئه، ودرجة هيجان المشاعر والإحساس الفني، ونوعية اللّون المعبّر عنه وقدرته على الجذب والتأثير"[11].

ولهذا أولت عديد من دور النشر أهمية قصوى في اختيار اللّوحة التشكيلية الملونة للنص الروائي، وهنا الأمر ضروري كونه يعمل على الإسراع في عملية التأثير المؤدية ضرورة إلى اقتناء العمل الروائي لما أضفاه اللون بدرجة أولى على

نفسية القارئ/المتلقي فقد أثبته "الملاحظة والتجربة أن للألوان دخلا في زيادة الإنتاج، أو نقصه، وأنها تؤثر على نفسية الشخص إيجابا أو سلبا حتى لو لم ينتبه مطلقا إلى وجود اللون، ولهذا ينصح العلماء بمراعاة طبائع الألوان في المكاتب والفصول الدّراسية.[12]

إن لإسقاطات اللون القدرة الكبيرة في جذب المتلقي أو تنفيره أحيانا " ذكر صاحب محل جزارة أنه بعد أن أعاد طلاء محلّه وتوقع زيادة المبيعات حدث العكس، وقد اكتشف فيما بعد أن نظام الألوان هو السبب، لقد دهن الحوائط أصفر فاقعا يولد الأزرق في المخيّلة، هذا الأزرق ينعكس على اللحم الأحمر فيظهره في شكل أرجواني، ولذا يظن المشتري أن اللّحم غير طازج أو متعفن..."[13].

تباينُ الدّور النفسي للألوان يعود عموما إلى تأثيرات نفسية سابقة لها علاقة بأسباب تاريخية مر بها الإنسان ممّا أدى إلى تسجيل هذا التأثير النفسي في واقعه الاشعوري، وهو الأمر المتعلق عادة بالأمور السّارة أو المحزنة فسرعان ما يبتهج المرء عند رؤية لون معيّن كان قد خُزن في ذاكرته يوم واقعة سارة معيّنة فيخرج لرؤية هذا اللون مما يؤدي إلى الميل له مباشرة والعكس في ذلك صحيح.

إن هذه النظرة تبيّن الأثر القوي الذي يتركه اللّون في حياة الإنسان، فقد أضحى اللون هاجسا يؤرق الفنان الذي يسعى لاختيار الألوان التي تجسّد في أعماق النّفس البشرية فقد "تحولت ريشة الفنان من هدف إغراء العين وإمتاعها إلى كشف أغوار النفس البشرية التي لا تلمح فيها الألوان الصريحة المباشرة بقدر ما تترك مساحات للظلمة والرماديات والفراغات المطلقة، وتعدّدت مدارس اللّون والضوء، ولم تعد وحوش الميثولوجيات [*] قادرة على البروز ولكن خرجت منها الهواجس والكوابيس الرابضة في اللاوعي".[14]

تعد معرفة اللون وكيفية تشكيله وتوزيعه على مساحة غلاف الرواية الورقة الرابحة للفنان، حيث تؤدي به إلى إنجاح لوحته وإعطائها رؤى خيالية متحديا

بذلك الواقع ليصنع لونه واقعا يضاهي اللون الطبيعي في جرأته، وصمته أو يزيد عنه أحيانا فيتوقف "إدراك رسالة مرئية ملونة على الجانب الفيزيائي للألوان وعلى آليات تلقيها"[15]

فاللون تجسيد للرؤية الحسية، وهو مصدر إبداعي وعتبة أساسية لابد أن تطفو على سطح غلاف الرواية لتفصل عن عتبة الغلاف كعتبة خارجية مجسدة للنص الموازي الخارجي، وبين الفضاء الداخلي للنص السردي.

واللون حسب الفيروزآبادي "ما فصّل بين الشيء وغيره والنوع وهيئته"[16] فحال اللون هو حال الغلاف، إذ يعدان عتبة فاصلة بين المظهر الخارجي، والمبنى الداخلي ، إلا أن هذا الفصل لا يؤدي إلى التفرقة بينهما بقدر ما يؤدي إلى التقاء الفن باللّغة لتعبّر عن جمال اللون بلغة فلسفية مسقطة لخبايا الذات العميقة المستوعبة فطرة للغة اللّون "انطلاقا مما أودعه الله فيه من تكوين فيزيولوجي ونفسي يتيح له إدراك اللّون".[17]

من خلال ما سبق يبدو أن صورة الغلاف الخارجي لا تنفصل عن ذات المبدع ولا تتبرأ من النص فقبل أن يتحدث الروائي تتحدث الصورة من خلال ما حوته من أشكال وألوان، وقد حملت الصورة حسا شعريا جمع بين متناقضات تؤكد كينونته ووجوده"[18].

فللون لغة تعبيرية باستطاعتها أن تضفي طابعا جماليا وفنيا على حياة الرواية، ولا يمكن غض الطرف عن هذه العتبة التزيينية/الإيحائية الباعثة لروح القابلية والتجاوب لدى المتلقي/القارئ فالصورة بألوانها المتمازجة الصدارة في تحقيق التواصل البصري باعتبارها رمزا وإشارة فنية هادفة ومعبرة.

ومن النماذج التطبيقية للتوظيف الواعي لعتبة اللون على سطح أغلفة الروايات الجزائرية نذكر الروائي "سعيد هاشمي" فنظرة الكاتب المعايش للعصر الحديث تختلف عن نظرة الروائيين المعايشين لفترة ما بعد الاستقلال مباشرة

لتأتي روايته "الاحتراق" كتكملة لرواية عاشق النور(*) معبرة من معاناة الشعب الجزائري إبان الثورة الجزائرية لتجسد صورة الاستعمار الغاشم آنذاك.

وقد جاءت لوحة الغلاف صورة ثورية معبرة عن معاناة الشعب الجزائري، إذ حققت هذه الصورة امتزاجا حقيقيا لجملة من الألوان التي أسهمت في إشعال فكرة العودة بالذهنية إلى أيام الثورة التحريرية خصوصا أن "رواية الاحتراق" قد انطلقت منذ بداية صفحاتها بالحديث من قلب الثورة التحريرية " **كان ميلاد عشرين أوت القسنطيني ضياء أنار طريق الثورة من جديد، ونمّا كيانها، ومتّن عضلاتها، وشبّب قلبها كان نسمة أنعشت صدور الأحرار، كنسمات جرجرة والأطلس والبابور الربيعية. وأكّد تلاحم هذا الشعب العنيد، واتفاقه على خط واحد، وهدف واحد، ووسيلة واحدة** "(19)، ولقد مُثلت صورة الثورة على لوحة الغلاف الأمامي بصورة فتاة شابة باكية تلف على جبينها علم الجزائر تقابلها ألسنة النيران المشتعلة.

إن المميّز في ألوان هذا الغلاف كلوحة فنية ناطقة هي ألوان العلم الجزائري فهي ألوان موحية، ورموز باعثة لمجموعة من الدلالات، إذ أنها لم تأت عبثا، وإنما مردّها إلى جملة من المرجعيات التاريخية والدينية والثقافية والاجتماعية استطاعت أن تعطي للعلم الوطني المكانة المستحقة وسط موجة من أغلفة الروايات الجزائرية المعاصرة، ومما لا شك فيه أن المتلقي الجزائري يتأثر دوما بألوان العلم الوطني التي غرست فيه معالم الوطنية منذ براعم أظافره.

إن هذه الألوان " شلت ميادين الحياة دون استثناء (مكان وزمان، ظاهرة طبيعية اسم علم أو لقب، مرض أو صحة، اسم كائن حي أو جماد، اصطلاح شائع أو تعبير يستخدم في مجال ما، وبذلك ارتبطت ألفاظ الألوان بالمسميات لأسباب موضوعية يمكن تفسيرها، وأخرى اعتباطية لا علاقة للاسم بالمسمى

وثالثة وُجِدت بمحض الصّدفة، وبذلك أضحى اللّون رمزا وشعارا يتخذه الإنسان في حياته "[20].

ومما لا شك فيه أن غلاف الرواية قد أُسقِط فيه ما جمعته أسطر "رواية الاحتراق"، فعّبر بكل هذه الألوان عن حقبة زمنية معيّنة.

استطاعت دمعة الفتاة المرسومة على الغلاف، والعلم الوطني أن يختصرا لنا زمن المعاناة من عدو غاب عنه الدّين فسفّح وقتّل، ونهب وعن أخ تملص من دينه فخان الوطن والملّة" **البيعة! دائما البيعة! متى نتلخص من هؤلاء الخونة نهائيا؟!**"[21]، لقد عبرت عين الفتاة الناظرة إلى الأسفل عن حزنها من واقع أليم تغمره الدماء والموت والألم " **الوحوش! الأنذال! عديمو الضمائر! .. أي قانون وأي دين وأي مذهب أو عرف، في هذه الدنيا، يبيح ما يرتكبونه من آثام؟! يا إلهي هب لي الصّبر والثبات ليعلموا بسالة عبادك المؤمنين. ولتكن يدي اليمنى سيفا يجزُّ رقابهم، ويدي اليسرى لهبا يحرق أبدانهم**"[22].

عدّت رواية "الاحتراق" تعبيرا عن الثورة الجزائرية الممثلة في هيئة المرأة، فقد أعطى الروائي "سعيد هاشمي" في روايته المذكورة المكانة للمرأة الجزائرية، وما عانته من ويلات الاستعمار.

المرأة والعلم الوطني: استطاع الروائي "سعيد هاشمي" الربط بين النص الموازي، والنص الأصلي فصورة غلاف الرواية تَصدّرهُ جنس أنثوي مثلته المرأة الجزائرية الثورية بدّلالة تعليقها للعلم الوطني بجبينها، فالجبين أعلى الوجه وهو دلالة للعزة والكبرياء إن رفع الجبين دليل على الشموخ والاعتزاز، أما إنكاسه فهو مذلة، وخزي وهو الملاحظ على صورة الفتاة التي وبرغم تصويبها النظر إلى الأسفل إلا أن جبينها ظلّ منتصبا تعبيرا عن بسالة المرأة الجزائرية التي قدمت نفسها لهذا الوطن المفدى ولذا رفعت الأقلام الشعرية لتعبر عن بسالتها وصبرها وصمودها، فكانت "جميلة" رمز المرأة الجزائرية الثورية التي لا تهاب الموت " **أقدم**

إليك الآنسة " جميلة " من المدينة. التحقت بنا بعد اكتشف العدو نشاطها وتكثيفه البحث عنها"[23]

فجميلة رمز المرأة الثورية التي قال فيها الشاعر العراقي "سعيد إبراهيم قاسم" في قصيدة بعنوان "البطلة جميلة".

أختي جميلة والأسى يدمي فؤادي في الحياة
ما أنت إلا زهرة ذبلت بتعذيب الطغاة
في غيهب السجن المريب
من صوتك الحلو الجميل سمعت ألحان الكفاح
فعلمت سر العيش في الدنيا بسيف أو سلاح
فلنشعل نار الحروب"[24]

مثلت المرأة رمز الوطنية والكفاح والجهاد، ورمز الناشطة في صفوف جبهة التحرير الوطني والكاتمة لأسرار الوطن " **تقربت من وردية أوقاسي من حارة "آث يحي" بعد أن عرفت عن طريق عمّها أنها زوجة مجاهد وهي شابة نشطة ليس لها أولاد و بسرعة عرفت سرّ زهرة، استأنست الواحدة بالأخرى دون الحديث عن زوجيهما إلا همسا، وزوجاهما في فوج واحد ولا تدريان** "[25].

إن شعب الجزائر هو شعب التضحيات، فكيف لا تحتفي العتبات النصية للرّواية الجزائرية بما خلده هؤلاء الأبطال الشجعان الذين خاضوا ميدان الكفاح دون الخوف من هول المصير " **كنت قرب الأوراس حيث أظهر الرجال بطولات أذهلت العدّو** "[26]، وقد قال الشاعر العراقي "عبد الكريم الملا "اعترافا ببسالة هذا الشعب:

"بولعيد يا جبل الكفاح تحية لكم ترف عواطف الإخوان
فعلى جبينك عزم الشعب ثائر صلب العقيدة راسخ الإيمان
أوراس ميدان الكفاح وأنت ذا أوراس ثان في دم وجنان"[27]

إن لدلالة العلم الوطني معان عدة فالأبيض رمز السّلام، والحلم الحرية والاستقلال والأحمر رمز الدّماء، والشهداء، والأخضر بساط يسير بهم إلى جنة الخلود والنجمة والهلال قطبان أساسيان يرمزان إلى الدّين الإسلامي، حيث قال "بلقاسم راجف" - وهو أحد مناضلي حزب نجم شمال افريقيا- ، " كان المنطلق هو التفكير في اتخاذ علم وطني له جذوره التاريخية والدينية والوطنية فكان اللّون الأخضر مستمدا من راية الأمير عبد القادر وهو اللون المشهود في الإسلام، ثم كان اختيار اللّون الأبيض، وبعده الهلال باللّون الأحمر، وكذلك النجم"[28].

يعد العلم الوطني الجزائري من الثوابت الوطنية، حيث حافظ الشعب على قداسته باعتباره رمزا وطنيا، وهو من مكاسب الثورة التحريرية المجيدة، إن الألوان الثلاثة التي جمعت بين (الأبيض والأحمر والأخضر) هي ألوان بربرية ترمز إلى أصول الرّجل المغاربي الحر "فاللون الأبيض يرمز إلى الجزائر واللون الأخضر يرمز إلى تونس واللون الأحمر إلى مراكش ومن هنا كان العلم هو الجامح والداعي إلى وحدة المغرب العربي"[29]، فاللّحمة الوطنية بين أبناء الشعب الواحد هي التي مكنت من صنع هذا العلم الوطني الخالد، تماما كما تشكلت اللحمة المغاربية بين أوطان المغرب العربي حيث تساعد الشعب الشقيق من بناء أوطان طاهرة من دنسها المستعمر الخبيث، فكانت المساعدات تصل بلد الجزائر من تونس والمغرب لإحياء الثورة وإنعاشها، وهذا بفضل قرب المسافات فيما بينها.

لقد مرّ العلم الوطني بمراحل عدة في إنجازه إذ كان رقعة خضراء وضع على زاويتها العليا إلى اليسار نجمة وهلال باللون الأحمر فاللّون الأحمر يحرّك الطاقة ،ويحدّدها(...) واللّون الأخضر يحفظ انضباط الذهن، كما يبعث على الراحة والاسترخاء (...) واللون الأبيض يدل على الروح الإيجابية"[30]

لقد ظهر العلم بشكله النهائي في مظاهرات 08 ماي 1945 "كان يحمله أول شهيد يسقط في سطيف (سعال بوزيد)، وكذلك كان في يد أول شهيد يسقط في قالمة (عبدة علي) ومن هذا التاريخ صار للعلم الجزائري قداسة في نفوس الجزائريين"(31) مثلت الفتاة الحاملة للعلم الوطني على صورة الغلاف المرأة الجزائرية الفتية الشابة شباب الجزائر وريحانها أيام الاحتلال الفرنسي كما مثلت الجزائر في صورة الفتاة الصبية المعذبة والمغتصبة من طرف الاحتلال الفرنسي، ورغم ذلك كانت المرأة الثورية المناضلة المفجوعة في صغرها وشبابها ووطنها وأهلها...، كما عبّرت هذه الفتاة عن صورة الجزائر الطاهرة الطيبة العذراء، الجزائر الحزينة على أبنائها، و على الاحتراق والدمار الذي شب بروحها وكيانها، لقد استطاع مختار هذه الصورة أن يصل بها إلى أعماق المتن السردي " **فتيات في ربيع العمر، جمال ساحر وقد رشيق ونظرة براقة صافية وعقل ذكي تركن الدنيا وملذاتها، وفارقن دفء الفراش ومتعة الراحة لخوض المعارك الضارية، ومواجهة قسوة الطبيعة! تخلين عن أمن الدّيار ليحققن أمن البلاد! ما أعظمك! فأين القوة التي تستطيع صد هذه الإدارة وتوقيف هذا الطموح ؟!...**"(32).

وبهذا استطاعت عتبة الغلاف أن تأخذ ذهنية المتلقي إلى أفكار متعددة وتغوص به في عديد من الأفكار اللامتناهية قبل فتح الكتاب، أو قراءة حرف واحد من أحرفه، إن لغلاف "رواية الاحتراق" القدرة التامة على جذب أنظار المتلقي إلى صورة الغلاف، بل إن الناظر إليها للوهلة الأولى يتفحص الصورة قبل قراءة عنوان الرواية والسبب راجع إلى جملة الإشارات والرموز المتعددة، والهادفة.

إذ تشكل لوحة الغلاف "شبكة من الاقتباسات والتحويلات لنصوص سابقة تقاوم كل تفسير أحادي، يقمع حريتها في الانتشار، ومعنى هذا أن هذه الطبيعة التعددية تشكل عنصرا أساسيا في عملة تكون النص وإنتاجه، وليست مظهرا

خارجيا أو كميا"[33]، فالصّورة لها تشعبات كثيرة [الفتاة- الدموع- النظرة إلى الأسفل، الجبين المرفوع، النيران الملتهبة، والعلم الوطني هو أبرز الأشكال و الألوان لفتا للانتباه ومبعثا للتأويل، ومحفزا على القراءة فدلالات العلم مختلفة "يتكون العلم من رقعة مربعة مقسوما إلى نصفين: أولهما أخضر وثانيهما أبيض، يتوسطهما هلال ونجم أحمران، يرمز الهلال إلى الإسلام، فهو أصل التقويم الهجري، و أساس حساب الشهور والسنوات، يستعمل لتوقيف الفرائض كالصوم والحج وغيرها، وترمز النجمة الخماسية إلى أركان الإسلام الخمسة، وهي تخالف نجمة اليهود السداسية، فثمة فرق كبير بين الثقافتين"[34]، ولا يمكن فهم طبيعة الغلاف إلا من خلال تأويل عناصر الصورة، وتشكيلها لفضاء سيميائي تبادلي، فقد أضفت ألوان العلم الوطني تأثرا عقائديا خصوصا أن خلفية الفتاة جعلت كلها باللون الأخضر، فالأخضر لون محبذ عند المسلمين إذ تجده في المساجد، وفي أضرحة أولياء الله الصالحين، وهو لباس أهل الجنّة قال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[35]

أدرج الروائي "سعيد هاشمي" بين ثنايا نصه قيمة الجهاد في سبيل الله، وأنه واجب أمرنا الله تعالى به، وحثنا عليه- رسول الله صلى الله عليه وسلم- **" الجهاد مقدس عند الله. في عهد الرسول (ص) اعتدى المشركون على المؤمنين اعتداء رهيبا ومستمرا. ومع ذلك رفض (ص) إعلان الجهاد، ومقابلة العنف بالعنف. حتى عظم الأمر، فإما يحمون أنفسهم، وإما يتعرضون للهلاك الكلي. عندئذ سمح الرسول(ص) بحق الجهاد. وهذا دليل على أنه شرع للدفاع عن النفس والدين ونحن في حالة مشابهة، إذ استعمرونا بالقوة، وارتكبوا مجازر فظيعة للاستلاء على الأرض، وشرّدوا السّكان، ومنعوا عنّا كل ما يثبت وجودنا وشخصيتنا (...) وهذا الجهاد واجب، بل يخزى كل من تخلى عنه "**[36].

2.عتبة تقف عند عتبة /عتبة الغلاف تقف عند عتبة العنوان:

كانت ملمحة نوفمبر 1954 نار الحرب التي خاض غمارها أبطال الجزائر ولهذا السبب وُجدت على لوحة الغلاف ألسنة النيران الملتهبة، تقابل وجه الفتاة مما يساعد المتلقي على فهم سبب اختيار هذا العنوان "الاحتراق" الرامز إلى اندلاع ثورة نوفمبر 1954: بجبال الأوراس كانت الرصاصات الأولى التي شكلت الإرهاصات الأولى لبداية نهاية الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

جزائـــر يـــا مطلـــع المعجـــزات ويـــا حُجّـــة الله في الكائنـــات
ويـــا بســـمة الـــرّب في أرضـــه ويا وجهه الضاحك القسمات [37]

كما يعبر عنوان الاحتراق عن الممارسات الامشروعة لأناس رفضوا الثورة فكانت حاجزاً سعوا لكسره، وكانت غطاء ساترا لخطاياهم، وكانت سلما ارتقوا به لمناصبهم اللاشرعية " **إن ثورتنا، لقوتها وشموليتها وسيرها الأكيد نحو النصر، تلهم أصحاب الأطماع باستغلالها لصاحهم. ويمرّرون مصلحتهم في إطار تحرير الوطن. والبراءة التي تغمر قلبك لن تصدهم عن أغراضهم، بل تزعجهم وتعرقل مشاريعهم (...) وأخطر الأطماع على الإطلاق هو الرغبة في السلطة فالتاريخ يحدثنا عن جرائم كثيرة ارتكبت للوصول إليها، وهذه لا تقدر الأخوة ولا الوطنية ولا البطولة!** "[38] فاللون الأحمر للعلم الوطني شمل هذه الدلالات، ودلالات أخرى كحزن احتراق الأرض الخصبة والدّمار الذي مسّها وحزن على صراع أبنائها، فالأحمر رمز لاحتراق هذه الفئات جميعا ومنهم فئة المجاهدين التي تصارعت مع فئة ثانية هم: " الحركى، أو الخونة الذين تواطؤوا مع المستدمر الفرنسي أو السلطة لأجل أطماع المال " **خونة؟! (...) أهم إخوانك؟! ما الذي يربطك بهم؟ اللغة أم الأرض أم الدّين أم التاريخ؟! إنهم إخواني أنّا عادوا إلى مكانهم الطبيعي، ولبّوا نداء وطنّهم الأم** "[39] .

وحزن أكبر من الأمرين السابقين هو "الاحتراق" بين أبنائها البارين أنفسهم لكن كل طرف يدافع عن وجهة نظره حسب قناعته، فالسياسي ينصف نفسه والعسكري يفعل مثله، وهنا زادت نار "الاحتراق" " **والمشكل الخطير هو ألاّ يشعر القائد السياسي بما يعانيه المقاتل، أو يستغل مجهود هذا لصالحه. أو يطغى عليه الغرور و يعتقد أن عمله هو الذي سيحقق النصر، ورأيه هو الصائب دائما (...) فالوضع خطير فعلا. لأن أخطر ما أوقع الشقاق بين الثوار في العالم هو عشق السلطة والزعامة**"[40] .

إن كل هذه الأيقونات لم تجتمع خبط عشواء، وإنما تمت حسب ما تضمنه المتن الروائي بظروفه المختلفة، وما يتطلب ذلك من خصائص لغوية وغير لغوية، وهنا تبرز الوظيفة الإشهارية لعتبات الغلاف، الألوان، العنوان كوسيلة تحقق التواصل العلاماتي بين المرسل الروائي، والمرسل إليه القارئ/المتلقي فالخطاب أو الرسالة الإشهارية "تفترض وجود مرسل أو متكلم يحدث أقوالا ومتلقيا يستقبل هذه الأقوال ويعمل على فهم أنساقها الدلالية المختلفة واللّسانية والسيمائية (الأيقونة البصرية) وتحليلها وتأويلها بعد ذلك، وهنا تحقق الشعرية" la fonction poétique" وهي الوظيفة السيّدة في الخطاب بعامة وفي الإشهار بخاصة وبقية الوظائف خدم لها إن جاز القول"[41] .

جسدت ثنائية العتبة "غلاف/عنوان" لرواية الاحتراق التعبير عن بسالة المرأة الجزائرية المجاهدة كما صوّرت الظروف الاجتماعية البشعة التي عانى منها الشعب الجزائري الرافض لهمجية العدو المغتصب، فسعى لتحقيق الحرية والاستقلال.

3.عتبة الغلاف/عتبة الإهداء تمجيد للحرية: توحي عتبة الغلاف بألوانها الحارة الباعثة على روح الحزن والخراب لمستقبل زاهر دل عليه اللون الأخضر وهذا راجع للخلفية التاريخية لكل متلقي- اليقين بحرية الجزائر يوم الخامس

من شهر جويلية - ، 1962 فالأكيد أن لهذه الصورة الحاملة لعديد من الدلالات الكئيبة نهاية سعيدة مرجوة ومنتظرة وقد أحسن الروائي "سعيد هاشمي" في الربط بين العتبات الثلاث "الغلاف، العنوان، الإهداء، فجعلها عتبات متكاملة ذات صلة بالمتن السردي إذ يقول في الإهداء.

" إلى:

الأرواح الطاهرة التي رعت الحق والعدل والسلام بأرض الجزائر واحترقت دفاعا عنها.

وإلى:

أسرتي وأولادي مراد، سمير، رشيد.

ليعلموا ما عاناه أجدادهم في الحفاظ على هذا الوطن، وصيانة الشخصية الجزائرية، فلا ينسون أولئك الأبطال الذين اشتروا حرّيتنا بدمائهم وأرواحهم.

س. هاشمي" (42)

إن الحرية رسخت ضمن المتن الروائي من بدايته لنهايته، فهي حرب كلّلت بالفوز والنصر الذي كلفنا الكثير " **زهرة اعذريني فلم نرتو من رفقتنا. فرقنا حبّ الوطن وستجمعنا حريته إن شاء الله .. وهل هناك حب أقدّس من حب الوطن؟! سنتحرّر وتكون لذة حبّنا أحلى وأكثر إشراقا.. وهل يحلو الهوى بلا حرية؟! (...) الحرية هدية الخالق، وما أعظمها من هدية! وخزي من وضع حريته في يد غيره. من تخلى عنها فقد سراج روحه، وأغضب خالقه** "(43)، هذا لا يعني أن الروائي "سعيد هاشمي" قد وفق في جميع عتباته، فالملاحظ على عتبة العناوين الفرعية للرواية عاد بها إلى روايات الثمانينات كما لاحظناه مع رواية "الجارية والدراويش" للروائي "عبد الحميد بن هدوقة" في بساطة عناوين فصوله الداخلية، كذلك فعل الروائي "سعيد هاشمي" إذ أنه لم يعنون مقاطعه السردية بل اكتفى بتقسيمها إلى ستة فصول.

قليلة هي الروايات التي حققت نجاحا كليا لعتبات النص ، فقصدية الكاتب في اختيار عنوان مناسب كعتبة ناطقة وغلاف يلخص الخطاب الإشهاري هو نجاح بحد ذاته ، فشكل الغلاف صار أكثر تفتحا على النص دالا ثريا يوجه إلى المتلقي.

الهوامش و المراجع:

[1] أحمد مختار عمر، اللّغة واللّون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997 ص: 20.

[2] المرجع نفسه، ص:13.

[3] ظاهر محمد هزاع الزواهرة، اللون ودلالته في الشعر، الشعر الأردني أنموذجا ص:18.

[4] هارون يحيى، معجزة الله في خلق الألوان، تر: رنا قزيز، مؤسسة الرسالة والطباعة والنشر و التوزيع لبنان، ط1، 2001، ص:22.

[5] أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص: 111.

[6] ظاهر محمد هزاع الرواهرة: اللون ودلالته في الشعر، ص:13.

[7] المرجع نفسه: ص:13.

[8] هارون يحي: معجزة الله في خلق الألوان ، ص:10.

[9] الأخضر الميدني ابن حويلي: الفيض الفني في سيمائية الألوان عند نزار قباني مجلة دمشق، مج21 ع3- 4، 2005، ص:113.

[10] ظاهر محمد هزاع الزواهري، اللون ودلالته في الشعر، ص:102.

[11] الأخضر ميدني ابن حويلي، المصدر السابق ، ص:113.

[12] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص:148.

[13] المرجع نفسه، ص:153.

[*] علم الأساطير أو الميثولوجيا: كلمة يونانية تشير إلى مجموعة من الأساطير الخاصة بالثقافات التي يعتقد أنها صحيحة وخارقة تستخدم لتفسير الأحداث الطبيعية وشرح الطبيعة الإنسانية.

[14] سليمان العسكري: رحلة اللون والضوء، مجلة العربي (عن وزارة الإعلام الكويتي للقارئ العربي) الكويت ،ع 39، 2000،ص:12

[15] محمد التونسي جكيب: إشكالية مقاربة النص الموازي وتعدد قراءاته، عتبة العنوان أنموذجا، مجلة جامعة الأقصى، مؤتمر الأدب، مج09، ع1، ص:57

[16] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص:1618.

[17] محمد التونسي جكيب: إشكالية مقاربة النص الموازي وتعدد قراءاته، عتبة العنوان أنموذجا ص:57.

[18] نظيرة الكنز: قراءة في رواية، مجلة علامات، السعودية، ع18، 1994، ص:24

[*] تحصل الروائي سعيد الهاشمي على جائزة الهاشمي سعيداني التي كانت تنظمها جمعية الجاحظية عن رواية "عاشق النور" التي عالج خلالها وقائع الجزائر إبان الحقبة الأربعينية، وقد ألحق هذه الرواية بتكملة ثانية هي رواية الاحتراق موضوع الدراسة.

[19] سعيد هاشمي: الاحتراق، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2002 ص:06.

[20] صديقة معمر: شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر (1988- 2001)، مخطوط ماجستير في الادب الجزائري الحديث و المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009- 2010 ص:56.

[21] سعيد هاشمي: المصدر السابق، ص:61.

[22] المصدر نفسه، ص:60.

[23] المصدر نفسه، ص:56.

[24] عثمان سعدي: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985 ص:430.

[25] سعيد هاشمي: المصدر السابق، ص:126.

[26] المصدر نفسه، ص:76.

[27] عثمان سعدي: المرجع السابق، ص:62.

[28] محمد خان: العلم الوطني، دراسة للشكل و اللون، محاضرات المتلقي الوطني الثاني للسيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، 15- 16 أفريل 2002، ص:16.

[29] شاكر عبد الحميد: التفصيل الجمالي، عالم المعرفة، ع267، مارس 2001 الكويت، ص:270.

[30] المرجع نفسه، ص:272.

[31] المرجع نفسه، ص:16.

[32] سعيد هاشمي: المصدر السابق، ص:58.

[33] محمد بوعزة: استراتيجية التأويل (من النصية إلى التفكيكية)، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 دار الأمان، الرباط، 2011، ص:39.

[34] محمد خان: المرجع السابق، ص:19.

[35] سورة الكهف الآية :31.

[36] سعيد هاشمي: المصدر السابق، ص:174.

[37] مفدي زكريا: إليادة الجزائر، إعداد مربعي الطاهر، دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص:06

[38] سعيد هاشمي، المصدر السابق، ص:81.

[39] المصدر نفسه، ص:200.

[40] المصدر نفسه، ص:86.

[41] بشير ابرير: بلاغة الصورة وفاعلية التأثير في الخطاب الإشهاري، نظرة سيميائية تداولية، الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي، ص:66.

[42] سعيد هاشمي: المصدر السابق، ص:03.

[43] المصدر نفسه، ص:270.